الشهيد البطل
جواد حسني

obeikandl.com

obeikandl.com

العدوان الثلاثي :

إلى الجيل الجديد والأجيال القادمة — على لسان شاهد عيان — بعض اللمسات واللمحات من سيرة شهيد مصرى؛ بطل سجل لنفسه يوما من أيام مصر الناهضة فكان فيلقا وحده ،وكان انتصاراً بتمامه ليحملوا أمانتهم كما حملها الذين من قبلهم، وينقلوا للأجيال أحاديث هذا الشهيد وأمثاله من شهدائنا الأبرار من آساد القتال وقساور (بور سعيد) ويذيعوا آية الجهـــاد والاستشهاد من كتاب الخلود .

الكتائب الجامعية

ولا أجد ندحة وأنا أتحدث عن بطل شاب هو (جواد على حسنى زين العابدين) شهيد جامعة القاهرة فى معركة العدوان الغاشم على (بور سعيد) من أن أتناول فى لمحة عابرة ظاهرة كبرى برزت للأعين فى جهاد عام ١٩٥١ وهى أن أبناء الجامعات قد شاركوا فى حمل عبء الفداء الأكبر ،وشهدت مصر فى ذلك العام ما تشهد نظائره كما أرادها التاريخ ؛ أن تسطر صفحة من كرائم صفحاتها ؛ فلقد كان الجامع الأزهر فى القرون الوسطى مركز الجهاد الأول ضد الصليبيين القادمين من الشمال والغرب حيث العلماء يحرضون المؤمنين على القتال فيخطرون أسيافهم وهم طلائع لهم؛ وفى منتصف القرن العشرين هب الجامع العتيق للدفاع عن الوطن بأرواح ذويه ، وشهدنا سباقاً فى الفضل كسباق المهاجرين والأنصار فى الفتوح الأولى ؛ فتبارت أقدم جامعة فى العالم مع الحديثات من جامعات مصر؛ فبدأت من كل جامعة فيلق تحتفل به مصر الشعبية وتجيزه مصر الرسمية إلى حيث يتفرق فى كل وجه من شعاب القتال ، ولم تكن خطوات الشباب ميممة شطر القتال؛ وإنما هى نبضات شعب موتور يتشفى من وتره بمناجزة عدوه لعله يشهد فى حياته الانهزامة الفاصلة لغاصبيه من رماح بنيه ؛ وكتائب

الشباب المتحمس التى تعمل مصبحة ممسية فرادى وجماعات؛ ترابط عند مبـــدأ القناة وأخرى تجتلد أشد الجلاد مع العدو فى الإسماعيلية، ثم أخرى فى نهاية القناة فى بور سعيد .. قد سقط فى ثوراتها العديد من الشهداء وأظهر الثوار خلالها من روائع البطولات ما جعل منها ملحمة وطنية ؛ كانت مجالا لظهور عدد من الأبطال الشعبيين الذين لم يكن لهم من قبل اسم يذكر، ولـكنها الشدائد منبت الرجال ومصنع الأبطال كما أسلفنا فى حديثنا عن الشهيد (جلال دسوقى) .

الفدائيون الشهداء

ورأينا غلماناً فدائيين مثل (نبيل منصور) يضحون بأرواحهم يشدون على العدو ويوجعون فيه قتلاً ذريعاً ، وهذه (أم صابر) من فقيرات مصر ولـكنها أكرم الـكرائم ومن حرائرها؛ يسفك الإنجليز دمها والأنباء تترى عن أسرى الشهداء من طلبة الجامعات بالقاهرة والاسكندرية ممن سيحفظ التاريخ أسماءهم فى فاتحة الـكتاب من تاريخ الجهاد ، ونفخ فى الصور فغدا الشعب فى تعبئة عامة ، وأخذ المصريون من كل حدب ينسلون إلى صحراء القناة ؛ فإما قضى عليهم العدو وإما قضوا عليه ، وهم فى الحالين منتصرون ، وتوالت الاكتتابات للتسليح وأعدت الحـكومة قانوناً لإباحة حمل السلاح؛ بل غدت ساحات الجامعات ميادين رسمية للتدريب وزار (مصدق) مصر فحيا الجهاد الأكبر ، وعاد يقول (إن العالم يتعلم على مصر دروس الفداء) ثم كانت الأنباء فى فاجعة (كفر أحمد عبده) تقرع الأسماع فقد أصبح كفر (أحمدعبده) بلداً بطلا كالرجال الأبطال؛ وفى القرى بطولة كما فى البشر من بطولة فهبت أفواج من شباب الجامعة تثأر لـكفر (أحمد عبده) ولما تلاقى الجندى الإنجليزى بدباباته وطائراته ونسافاته فى القناة مع شباب الجامعة المتطوعين، كان الإنجليزى يبكى وكان الفدائى المصرى ينتصر ، كانت مصر آنئذ تتقلب على الجمر وكانت أنباء الأسرى والشهداء تدخل الأسى صباح مساء على كل نفس؛ وعاشت مصر فترة

استشهاد ستبقى فى جبينها كالنور الإلهى،أوهى النور الإلهى نفسه يشع من أبطالها كما شع من قبل فى الحواريين والصديقين والشهداء . وفى ليلة العام الجديد عام ١٩٥٢ كانت ذكرى الخشوع والخضوع لرسول السلام ، فى حين كانت دماء مصر تسيل أنهاراً فوق ثراها ونشرت الصحف صوراً لجنازة (عادل محمد غانم) الطالب بكلية الطب محمولة على الأعناق ، بعد أن عاد شهيـدا من ميادين القتال وتشتد معارك الفدائيين ويستشهد منهم الكثيرون ، وتكون الجنازة الصامتة لشهيد الوطن بجامعة الإسكندرية (عباس سليمان الأعسر) يتقدمها مدير الجامعة ووكيلها والعمداء والعلماء .

ثم يحتفل فى الزقازيق ومصر بتشييع جنازة شهيدى الوطن المجاهدين الطالب (أحمد منيسى) بكلية الطب والطالب (عمر شاهين) بكلية الآداب .

وينتقل ميدان المعارك إلى منطقة (التل الكبير وأبى حماد) ،ويعلن عن استشهاد شباب الجامعات فيهما،وقامت مصر تثأر لشهدائها الذين يلقون الشهادة فى الصفوف أو لاقوها فى أتون الأسر الإنجليزى. ولقد فعل (الفدائيون) الأفاعيل بالإنجليز الذين كانوا ينقلون قتلاهم مدحورين مذمومين ، وما هى إلا مصر بفضائلها وشمائلها تتمثل فى الطيار البطل (أحمد عصمت) وما إنجلترا فى عنفوان عدوان الاستعمار إلا (البريجادير) فتواقع الفريقان ، وأتى الشهيد (عصمت) مسدسه فى توفيق وتسديد فقضى على ثلاثة منهم (البريجادير) وحراسه وتهدهد الثلاثة الإنجليز صرعى يخورون وأدى البطل المصرى رسالته ،وانتصرت روح مصر فى (التل الكبير) وتعلم العالم أن المصرى إذا لقى الانجليز ؛ بل القائد الإنجليزى وجهاً لوجه كانت الدولة لنا والدائرة عليهم .

ويقف الشاعر مع الفدائيين فى أهوال النضال ، وقد هبوا من كل صعيد إلى المحتل الجاثم على ضفاف القناة ويهتف :

نفخ الصور فانتبه من سباتك أيها الشعب تلك أولى حياتك
الفداء الفـــداء، ناداهم النيـــل فخفوا كالطير فى شجراتك
ويد الله فى يديهم سلاح طيفه للعدا حتوف فواتك
لن تذوق الحياة حراً إذا لم تسقها ما تريد من تضحياتك
وإذا رفرفت نفوس الضحايا كل يوم فأطربت ثاكلاتك
ورأيت الشهيد يهتف للموت ومنعى صباه من بشرياتك
فهى للبعث صيحة وأذان أيها الشعب تلك أولى حياتك

ثم أراد الإنجليز تكرار حادث ضرب الإسكندرية منذ سبعين عاما ، ونشبت المعارك بين القوات البريطانية وبين الأهالى غير المسلمين فى الإسماعيلية فلم يبق إثم لم يبوءوا به .

وذهب (تشرشل) يستجدى من أمريكا رجالا للدفاع عن القنال ضد جماعة الفدائيين من شباب الجامعات المصرية، وضد مصر التى تطالب بحريتها وأعلن أن مجازرهم فى القناة قد فاقت مجازرهم فى دنشواى .

وقام الفدائيون بدورهم فى معسكر (أبى سلطان) فنسفوه .

وجرت الأحداث .. ووليت الحكم وزارة لم تحم ظهور الفدائيين نخفى النور، ولم تخب النار وكان حريق القاهرة ..

وفى ظلمات اليأس دقت نواقيس الزمن وقامت ثورة الجيش فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ .

وطلع الفجر الجديد ، وأصبحت مصر لنا ، وانفتح أمامنا الطريق لنبلغ حيث نكون فى الوطن كما كنا فى الدين (خير أمة أخرجت الناس) وستتطلع الأجيال المقبلة إلى آيات البطولة التى سطرها فى ألواح تاريخنا آساد القنال نرى فى أنوارها وجه الوطن الغالى .

شهداء فلسطين :

وإذا كنت قد أضفت لحساب جيلنا خطوات الشهداء على أرض القتال عام ١٩٥١ — ١٩٥٢ فإنى لا أنسى هؤلاء الذين سبقوا هذا الرعيل فى معارك فلسطين عام ١٩٤٨ فقد كان منهم الفدائيون الجامعيون الذين كان يرأسهم البطل (محمود عبده) المدرس بالمدرسة الخديوية، والذى تولى الدفاع عن « بئر السبع » وكان على رأس فريق من الفدائيين، كانوا نماذج حية للتضحية والفداء وبجانبهم الفدائيون والمتطوعون من رجال الجيش، وكان قائدهم الفدائى الأول الشهيد (أحمد عبد العزيز) ، وقد كان الشهيد الأول من الفدائيين (فتحى الحولى) الذى استشهد فى « خان يونس » وتبعه الشهيد البطل (أنور الصيحى) الذى استشهد فى معركة « بيت إيشيل » ثم الشهيد الصـــاغ (محمد سالم عبد السلام) من مدفعية الفدائيين ، واستشهد فى معركة « تبة المسلوخ » .

وهكذا نقرأ فى مذكرات الفدائيين فى فلسطين ما يجعلنا نؤمن بأن الحرية كلما حوربت اهتزت وربت ورواها دم الشهداء ، وخدمها الأعداء قبل الأصدقاء ، وكانت صيحة الحرب عليها دعوة النصر لها، وأصبح كل شهيد على ثرى فلسطين أو القناة معلما من معالم أمتنا يضاف إلى القيم العليا التى تقوم بها مصر قبل أن تقوم بكنوز ثراها ؛ بما تخلعه على الأمة من صفات تعلى مستواها فوق ما تغليه القيم المادية .

ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ :

ونعود إلى الثورة الوطنية العربية التى قام بها جيش مصر عام ١٩٥٢ والتى انتفضت الأرض لنورها وهو يهدر على زروعها وأكواخها بنفير البعث والحياة ، ولـكنها زلزلت هذه الأرض تحت أقدام الاستعمار وأيقظته من أحلامه وتردد الهتاف من أفواه الملايين فى آذان المستعمرين « أخرجوا من أرضنا » .

وقال قائد الثورة المفدى، وقالت مصر كلها وراء قائدها (ستخرجون من ديارنا مكرهين؛ إن لم تخرجوا اختياراً وطواعية) وما هى إلا أيام حتى نشبت معارك القناة بين الفدائيين الأحرار من شباب مصر وبين جيش الاحتلال . وحققت لمصر سيادتها الكاملة . ثم مضت مصر فى طريقها لتحقق برنامجها المرسوم فى الداخل والخارج : برنامجها للارتفاع بمستوى الشعب ، ولتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولإرساء قواعد الحكم على أساس ديمقراطى ، ثم لتوثيق أسباب الوحدة العربية ولتحرير الوطن العربى من بقايا الاستعمار والصهيونية، ولتحقيق التكامل الاقتصادى والعسكرى بين البلاد العربية .

وتجاوبت أصداء الدعوة للقومية العربية من الخليج إلى المحيط ، ثم وضعت الثورة خطوط مشروعاتها الضخمة وكان أولها إقامة السد العالى ، وتقدم سماسرة الاستعمار إلينا ليساومونا ولنكون تابعين لهم . فأصررنا على الاستقلال وجرت المفاوضات وأبوا أن يعطونا مالا ، وأبوا فى الوقت نفسه أن يرضوا عن استيرادالسلاح من دول الشرق، وعرضت روسيا معونتها غير مشروطة ؛ ولكن رد مصر كان كريماً كالعهد بها وقالت (إن لنا من مالنا ما يكفينا) .

وأممت القناة .. وكان التأميم فصلا جديداً فى تاريخنا وتاريخ الأمة العربية إذ كان أول عمل إيجابى ليس بعده إلا التقدم ليمتد (كورنيش العرب) على ساحل البحر المتوسط من طنجة إلى الاسكندرونة ويتوحد الوطن العربى .

وبرزت هذه الحقيقة أمام العصابات الاستعمارية فأخافتهم الجولة التى تلى تأميم القناة ، وأحسوا ذلك منذ برز فى سياسة الشرق الأوسط العملاق العربى شعار الثورة التحريرية الكبرى ورائد القومية العربية الرئيس (جمال عبدالناصر) ومنذ هتفنا باسم زعيم العروبة (جمال عبد الناصر) فجاوبنا هتاف آخر باسم (صلاح الدين) ، وارتاع الاستعمار ونسى أن معسكرات التدريب المتفرقة تضم مئات

الآلاف من الشباب يتدربون جميعاً استعداداً لمعركة الغد؛ ليتربصوا بالموت لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء على جزء من وطننا أو جزء من سيادتنا ناسياً معارك (رشيد و باب الشعرية وبولاق) التى علمت أهل (ستالينجراد) أن يدافعوا عن مدينتهم فانتصروا حين عجز الجيش عن الانتصار .

حرب السويس

لمثل هذا أخذ الشبان يتدربون فى ساحات الحرس الوطنى منذ صك أسماعهم إنذار العدوان الغاشم عام ١٩٥٦ ليسكون كل منهم حارساً أميناً . . وقد غدا الشعب كله جيشاً من الفدائيين، وكل بيت صار حصناً وكل شارع صار ميداناً لمعركة، وتبارى الجميع فى التضحية واستولت على الأمة جمعاء تلك القوة التى ينزل القدر عندها ، كلما صدقت الأمم جهادها فترفعها درجات فى لحظات فوق مستواها وكان يوم التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٥٦ هو الموعد الذى حدد لاجتماع ممثلى مصر صاحبة القناة بممثلى الدول تحت راية السلام فى جنيف للبحث فى مستقبل القناة ، وفى هذا اليوم بدأت قوات إسرائيل تتحرك بجموع كثيفة وعتاد ثقيل نحو الجيش المصرى فى سيناء صوب (قناة السويس) تؤازرها فى السر قوات الاستعمار البريطانى الفرنسى وفى يوم الثلاثين من اكتوبر؛ بينما كانت القوات المصرية فى البحر والبر والجو تدق على رأس اسرائيل ـ تقدمت إنجلترا وفرنسا إلى مصر بإنذار يقضى بأن تحتل الجيوش الإنجليزية الفرنسية شاطىء القناة لحمايتها، وانتهت المدة الموقوتة للانذار ومصر التى رفضته بلسان قائد قافلة الحرية فى طريق الزحف المقدس الرئيس (جمال عبد الناصر) كان جوابها جواب أمة شامخة يشهد لها العالم أجمع بمواقفها التاريخية، وكانت معركة الحرية يتأجج أوارها فى سماء (بور سعيد) الخالدة وقد هب الشعب العربى كله مع مصر فى نضالها الخالد لسحق الغزاة وصد (العدوان الثلاثى) الخاسر ومست النار المقدسة كل شىء

فانصهر وكشف عن معدنه الأصيل ، ونزلنا جميعاً إلى المعركة وقد انبعثت أشواقنا العميقة للحرية للتعبير ، للتسامى ، للفداء ، لليقظة العارمة التى يهتز لها كياننا كله وينتفض فى وجهها كل شىء فى وطنا، مادياتنا ومعنوياتنا وصنعت (بورسعيد) المعجزات فكانت قصص البطولة فى المعركة مثيرة تسمع من سجل حقائقها محض أساطير ،وحسبك هتاف الشعب فى المعركة بوجه إنذاره للغزاة ، (سنحاربكم بما بقى فينا عن دم لم تستصفه بعد وحوش الاستعمار بأيدينا ، فإن قطعت فبأشلائنا وبالسلاح ، فإن عجزنا فبالعصى وبالحجارة ، وبأنقاض المعاهد التى تضربونها وعلى الشاطىء والمزارع والرمال وفى كل مكان ، وبكل شىء فإما رددنا إلى مصر كرامتها وإما رددنا للسماء وديعتها) .

بين العواصف والردى الجبار ... وربى تظللها طيوف النار
جزنا خضم الموت ملء صدورنا ... عزم يدك غوارب التيار
فى (بورسعيد) وقد ترامت حولنا ... أشباح هلك أو رعود دمار
وكأن أشبال الكنانة فى الوغى ... زمر القضاء الفاتك البتار
وإذا جيوش القاسطين بدائد ... مثل الخريف على يد الأعصار
يا أخوتى فى بور سعيد تحية ... صداحة بالزهو والإكبار
هذى مدينتكم وذاك نضالها ... تتلى ملاحمة على الأدهار
فخر المدائن أنت أروع قصة ... لكفاح شعب خالد قهار
لله يوم قد شربت صباحه ... ناراً ومغربه سلاف فخار
خضبت دماء بنيك مطلع شمسه ... حتى شهدت غروب الاستعمار

وهكذا وقف الشعب الذى أنقذ الحضارة من الصليبيين حين سحقهم فى (حطين) وأنقذها من التتار حين دحرهم فى (عين جالوت) وقف ينقذها من حرب عالمية ثالثة ، إذ كان محتملا أن تتطور (معركة بور سعيد) إلى حرب

عالمية لولا أمانة (جمال عبد الناصر) الذى أخلص لقضية السلام العالمى، فكان الصبر على المعركة والرضا بعذابها، وقيامنا وحدنا بمسؤلياتها كان ذلك نجاة، وكدة للعالم كله من الحرب الثالثة، وهكذا برزت معركة (بورسعيد) إلى سجل الخلود العالمى، ولسنا وحدنا نذكر (بور سعيد) على أنها مقبرة الغزاة ومفخرة الانسانية ومادة للتاريخ ونبع للقصص البطولية فان عدونا أيضاً يذكرها جيداً، فقد ضاعفت بور سعيد مخازيه وأضافت إلى قائمة هزائمه فى (دنكرك ودين بيان فو وكينيا والجزئر) خزياً كبيراً رهيبا جللته به بور سعيد.

وبين تلك الصفحات الناصعة التى سجلتها معركة الحرية فى (سيناء وبورسعيد) بدماء شهدائها الأحرار الذين أريقت دماؤهم فى ميدان البطولة وساحات الشرف فى سبيل تشييد الصرح الشامخ لأمجاد الوطن، وضمان حرية أبنائه وإقامة دعائم السلام، تلك الصفحة الخالدة التى كتبها الفدائى البطل الشهيد (جواد على حسنى زين العابدين) الطالب بكلية الحقوق فقد سطر بدمه الطاهر قصة كفاحه وتعذيبه على جدار السجن الذى استشهد به فى معركة (بورسعيد) على يد المعتدين الغادرين فسجل قصته فى كتاب الخلود، فى تاريخ أمته العريقة، إنها صفحات كتبت بالدماء وهى من أجل ذلك صفحات محببة إلى نفوس الأحرار فى كل بلد وفى كل أرض تعشق الحرية.

بطولة جواد.

وهنا نعرف بشخصية أحد هؤلاء الأبطال (الفدائيين) الذين تجلت فيهم كل الفضائل التى عرفتها الإنسانية، ذلك هو شهيد الجامعة فى معركة العدوان الأثيم الفدائى الشاب . . . (جواد على حسنى زين العابدين) الذى سجل له التاريخ موقفه المشرف العظيم، حين وقف فى وجه الطغاة فى سيناء بين رائحة الدم وفيح جهنم يدافع عن حمى وطنه مضحياً بنفسه فى سبيله، وشاءت خسة البرابرة المعتدين

أن يقترفوا جريمة بشعة فيقتلوا الفدائى (جواد حسنى) حين وقع فى أيديهم أسيراً، وصرح لهم بأنه من (الفدائيين) فطمعوا فى أن يطلعهم على الأسرار الخاصة بالجيش المصرى أو مواقع الفدائيين؛ وأطمعهم فى ذلك صغر سنه والجراح الغائرة التى أصابته فى ساقه وصدره ، ولكن خاب ظنهم وفشل مسعاهم، فما كان الفدائى الشاب بالذى يسمح للعدو بأن يحصل منه على شىء ولا سيما إذا كان هذا يتعلق بشئون وطنه ، وهو الوطنى الغيور والفدائى المدرب الذى يقدس بلاده ويضحى فى سبيلها بحياته ، وحين أعيتهم الحيل فى نيل مبتغاهم عمدوا إلى التنكيل به ، ثم قتله على الصورة الشائنة التى يندى لها جبين الانسانية وتجلل وجوههم بالخزى والعار :

قد تحولت (ياجواد) زئيراً ... بعد أن مج غابك الأدعياء
وتحولت دونه صعقات ... جمدت فى الوريد منه الدماء
أرض سيناء قد رفعت حماها ... فغدا النجم فى العلا سيناء
حين حار الأعداء فيك فتيا ... واحداً بزفيلقا ولواء
هالهم منك أن تكون فريداً ... يتنزى منه العدو بلاء
والتقيتم : أولاء ضرب من الموت ... وها أنت كنت فيهم قضاء
ورمت عزمك الحديد جراحات ... فكانت عينا لهم نجلاء
فأحاطوك بالخيانة والغدر لنا ما ... ملء الورى حقراء
أسروا المجد والشهامة والرأى ... وهام الإباء والجوزاء
فغدا المجد والشهامة والرأى ... جبالا أمامهم شماء
سائلوها ما السر؟ قالت معى السر ... ولكن يظل سينا وراء
أفرغوا دونها الرصاص هباء ... أتحسن الجبال هذا الهباء

حياة جواد والعصر

ولد جواد حسنى فى العشرين من أبريل عام ١٩٣٥ فهو من أبناء مصر الحديثة التى رأت النور فى آفاق ١٩١٩ ورضعت من لبان النهضة التى تمهدها (مصطفى كامل ومحمد فريد) فى فاتحة القرن كانت تلك الفترة القاتمة من التاريخ، كما تحدثت عنها بإسهاب فى سيرة (البطل جلال دسوقى) فى هذه الفترة من حياتنا ـ ولد الفدائى (جواد حسنى) وعاشها وكأنما كان القدر يعده لما قام به بعد من بطولات فأى ضغط كانت ترزح تحته أعصاب لداته فى هذا الزمان !

نشأة جواد

ولد من أب مصرى هو الأستاذ (على حسنى زين العابدين) وهو من أعلام القانون المثقفين وأعلمهم باللغة الإنجليزية ، وهو مثال رفيع للخلق القويم والوطنية الصادقة ، ولقد تزوج حسنى حين بعثته فى انجلترا بسيدة إنجليزية مثقفة ذات خلق طيب ، هى أم (جواد حسنى) وهى إن كانت إنجليزية إلا أنها كانت تستشعر فى جميع تصرفاتها أنها فى بيئة شرقية ، لها تقاليدها ومقوماتها، وقد قام الوالدان على تنشئة ابنهما جواد نشأة قويمة تساندت فيها التربية الإنجليزية الاستقلالية مع التربية الشرقية الإسلامية ، مما جعل التلميذ الصغير فى طليعة أقرانه علماً وخلقا حتى أتم دراسته فى المرحلة الابتدائية بالإسكندرية فى نحو الثانية عشرة من عمره مبرزاً بين الدارسين مجيداً اللغة الإنجليزية ولحق الفتى النابه بعد دراسته الابتدائية ، واالتى كان يتألق فيها ذكاء وألمعية بمدرسة (الرمل الثانوية) وينقضى نصف عام ثم تنقل الأسرة إلى مصر ؛ فيحول إلى مدرسة (الإبراهيمية الثانوية) فى يناير عام ١٩٤٧ ويظل بها خمس سنوات مثالا كريما للطالب المتميز ، له من شمائله ماضمن محبة الخلطاء وصفاء الزملاء ، وكان حريصاً على أداء واجباته ومرضاة أساتذته ، وقد أثر عنه من المصابرة والمثابرة ما جعله

موضع حفاوة معلميه، وكان وفياً لهم يزورهم وهو بالجامعة، ورغم رفاهية عيشه فإنها لم تكن تعبر عن نفسها إلا فى خطرات نفسه وانبعاثات وجدانه ونبالة عواطفه فلا يتختم ولا يتعطر ولا يتبدى فى الألوان الزاهية من حلل الشباب، وكانت سماته الغالبة هى التواضع والانطواء وحبه ألا يبدو عليه مظهر من الثراء أو الجاه لأنه مرهف الحس حريص على علاقاته الإنسانية، ولقد طاوعته اللغات الثلاث ولكنه أجاد الإنجليزية إلى أبعد غاية، وكان فنانا يهوى الرسم وإن لم يظهر أثر ذلك إلا فى الجامعة، وقد كان التاريخ الإسلامى والمصرى هو موضوعه المفضل وقصص البطولة شغله فى وقت فراغه، وقد كانت رعاية والده العلمية له وحرصه على تزويده بأزواد شتى من المعرفة بشخصيته أو بمكتبته التى تكتظ بألوان من الثقافات هى مصادر غذائه العقلى، وقد آمن والده كذلك بأن الدعامة الكبرى لغرس الوطنية فى الشباب، هى أن يحب الكبار الوطن فى أشخاص الصغار بالتواصل العقلى والعلمى، وأن يحبه الصغار فى المثل العليا التى يضربها الكبار لهم بحسن صنيعهم وجليل مزاياهم، فسار مع جواد على هذا الدستور وقد دل أسلوب الكتابة عند (جواد) على ذاته حين طلب إليه أستاذ اللغة العربية فى السنة التوجيهية أن يكتب قصة موضوعها (هب أن الأعداء اعتدوا على حدود وطنك الحبيب فدعيت إلى الدفاع عن حماك ومقدساتك فماذا أنت فاعل ؟) فكان العجب العجيب أن الشاب الفدائى (حسنى) كأنما كان ينظر بعين الغيب إذ يكتب قصته التى صنعها ببطولته بعد ؛ ولم يتخلف منها غير بعض الخطوط التى أملتها عليه ظروف المعركة، ولكنها كانت مطابقة للواقع فى البدء والختام .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٣ استقبلت كلية الحقوق بجامعة القاهرة طالباً أبيض اللون دقيق القسمات، ضامر الجسم ليس مفرطاً فى الطول، بل لا يتجاوز

طوله مائة وسبعين سنتيمتر، نافذ النظرات فى عينيه شعاع عامر بالأنس والطمأنينة والتصميم ، يميل وجهه إلى أن يستطيل من تحت جبهة متبدية للناظر، وفم دقيق يغلب عليه الابتسام، يعلو رأسه شعر ناعم ذو لون أصفر قاتم فيه سمات كريمة لم يطاول أحداً بثرائه ولا يجرى وراء الثناء ، فإذا تحدث أقل وأقنع ولا يتغضب على أحد فما فى قلبه موضع الحقد أو حسد يملك لسانه وسمعه وبصره ، كل ذلك فى مزاج من الترفع والتواضع واليسر ـ ذلكم هو البطل الفدائى (جواد على حسنى) ولقد أحبه إخوانه بالكلية فكان يختلف إليهم يناقشهم فى السياسة الدولية والداخلية ، وهو شات الأحزاب مناقشة شاب متوثب يقرأ الصحف الإنجليزية والمصرية اليومية والأسبوعية والشهرية، ويستمع إلى محطات العالم الإذاعية، وقد أصدر مجلة للكلية سماها (الكرامة) وعلى صفحاتها أخذ يوجه إلى الاستعمار السهام القاتلة لاعتقاده أن الاستعمار أكبر ما يسىء إلى كرامة الأمم ويهدر حقوق الإنسان ، إذ هو استذلال واستغلال واستعباد واسترقاق وتخريب ، نعم لا شىء غير الكرامة فهى عنصر أساسى موروث فى (جواد) وهى طبيعة تسرى فى دم كل مصرى وكل عربى : كرامة النفس التى رفعت (جواد) عن احتمال الضيم وجعلته يتمسك بالأخلاق العالية، وكرامة الوطن ويقف حياته لخدمته والتضحية بكل غال فى سبيل عزته وكرامته الإنسانية ، بالدفاع عن المستضعفين فى الأرض من أى الأمم وفى أى البلاد، ومن أجل ذلك كون الفقيد فى الكلية جماعة أسماها (جماعة مقاومة الاستعمار) وسهر على تنميتها وتحقيق ما تستهدفه من أغراض نبيلة :

كان الهلال وأعطى من أشعته ... ما لم تفضه على الآفاق أقمار

رأته مصر صبياً حاملاً قلماً ... يسيل منه على أعدائها القار

بدت كرامة عصر فى (كرامته) ... وصوته صادع بالحق زآر

يقول لا عاش الاستعمار فى بلد أصحابه من شباب الدهر أحرار
فلا يظل دخيل فى مواطننا وما سوى أهلها أهل وعمار

ولقد كان من بين رفاقه فى الكلية من يراه مبالغاً فى تمثيل دور الوطنية فهو مترف لا يحس آلام الشعب وأحاسيس بنى وطنه، ثم هو نجل (سيدة إنجليزية) هى سليلة الغاصبين، فكان يشق عليه هذا ويشكوه لوالده الذى كان يتخذه أباً وصديقاً، فيهون عليه الأمر من أنه لا بد لأصحاب الرسالات من تحمل العقبات ووقف يوماً بين زملائه بالكلية يحدثهم عن مقومات الرجولة الأصيلة، وأنها ليست فى الثراء الزائف، بل هى فيما يصنعه المرء لنفسه؛ وأنه يسعده أن يمتهن أى مهنة مهما اتضع شأنها فهى شرف له ويضمن بها العيش الكريم، فاقترح عليه أصحابه أن يختار (مساح أحذية) لينفذ برنامجه عمليا، وكان ما أرادوه وذهب الفتى الأنيق الذى يرتدى أغلى الثياب يحمل صندوقه فى يد وكتبه باليد الأخرى ويتنقل بين المقاهى وأروقة الجامعة ليمسح الأحذية، وإذا شاء أحد أن يشجعه بأكثر من الأجر المعلوم أبى فى عنف ولقنه درساً فى الكرامة، وكان أن نجح فى رسالته وأعلن أن من يحترم مهنته ويخلص لها فإنه يكسب منها ما يوفر له أسباب العيش، فقد كسب فى الشهر الأول عشرة جنيهات بعد نفقاته لأنه امتنع أن يأخذ من والده شيئاً وبذا حقق الشطر الأول من البيت الذى كان يتخذه دستوره فى الحياة وهو :

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً وإذا مت لست أعدم قبراً

وكان لا بد أن ينفذ دستوره فى الشطر الثانى .

جواد الفدائى :

فكان دوره فى الوطنية أن كان (جواد) أول طالب من طلبة الكلية تطوع عام ١٩٥٣ فى سرية الفدائيين التابعة للكتيبة الثامنة عشر (مشاه بنادق)

بالجيش المصرى؛ فتمرس أعمال الفدائيين على اختلاف دروبها، واشتهر بين إخوانه وأساتذته بالحذق والمهارة وإجادة الرماية والشجاعة والصمود والثبات على المبادىء السامية، وكان يقضى بعض أيامه فى المعسكرات؛ وقد صارح والده بأنه يتمنى لو أتيحت له فرصة الدفاع عن وطنه .

حتى كانت قصته البطولية وهى حقيقة أروع من الأساطير حقيقة أعظم من كل خرافة .

ففى أيام (العدوان الثلاثى) على بلادنا خرجت هذه الحقيقة إلى الوجود وسطرت خاتمتها بالدم على جدران السجن الكالحة .

ففى أكتوبر عام ١٩٥٦ حدث الاعتداء الإسرائيلى على حدودنا الشرقية وأعقبه الإنذار الإنجليزى الفرنسى المشئوم، ثم الاعتداء المسلح فنهض أبناء الوطن كالمردة والعمالقة، وخرج آلاف الشبان إلى معسكرات التدريب فى الجامعات والساحات والنوادى، وقد تعاهدوا جميعاً على التضحية والفداء حتى يحرزوا النصر أو يفنوا عن بكرة أبيهم :

والرفقة الأحرار فى كليتى ... يقضون فى الأعداء أى قضاء
إنا تعاهدنا على ألا يرى ... فى أرضنا عاد سوى الأشلاء
وانسلت البغضاء فى أعماقهم ... ناراً وما أقسى لظى البغضاء
فمضوا تذيب الهول من هباتهم ... حمم تذيب جهالة الأعداء

وقد انطلقت الكتائب إلى مكان حول مكان الاعتداء إلى (عزبة البرج والاسماعيلية والقنطرة) وتسربت فوق الضاعقة إلى سيناء للتسلل إلى قلب العدو فى (بورسعيد) تنضم إلى الفدائيين داخلها، وتنظم حركة المقاومة ورأى (جواد) أن ساعة الجهاد قد حانت وأن ما كانت تتوق إليه نفسه العظيمة المجاهدة قد آن فاستأذن والده (الأستاذ على زين العابدين) وكيل وزارة الإرشاد القومى آنئذ فى اللحاق

بفرقته ، فلم يسع والده وهو المجاهد المعروف بحماسته ووطنيته إلا الاستجابة لطلب ابنه الوحيد ، بل شكره وحيا فيه هذه الروح العالية، وأوصاه أن يكون الجندى المناضل المستميت فى سبيل كرامة بلاده وعزتها ، عندئذ قبل يدى والده ووعده بأنه سيكون عند ظنه به . وزاد بأنه سيجعل نصب عينيه الأهداف والمثل العليا التى رسمها السيد الرئيس المفدى (جمال عبدالناصر) هذه الأهداف التى يناضل من أجلها الأحرار فى جميع الأقطار العربية ، ثم ودع والده الوداع الأخير وحيا والدته وأختيه الوحيدتين وسارع إلى الميدان ، وإلى أشد ساحاته خطراً (صحراء سيناء) وفيها أظهر من البسالة ما سجل له صفحات مجد وفخار .

وفى الأسبوع الأول من نوفمبر استطاعت كتيبة جامعة القاهرة أن تتسلل إلى سيناء، وعند العريش التقى بمقدمة قوات إسرائيل وفرنسا، قاتل (جواد الفدائى) الفتى الذى لم يجاوز الواحد والعشرين ربيعاً من سنى حياته ، قاتل قتالا مريراً وبالرغم من بنيته الضعيفة وبدنه الضامر ، قاتل ونسى كل شىء غير وطنه ، نسى حياة الترف التى كان يعيشها وأصدقاء الصبا فى حى (المنيرة والسيدة) زينب، نسى جامعته ومستقبله ولم يذكر غير وطنه المفدى :

وعرفتم عن دارنا : هل عودها ... صلب فلم تهتز للنكباء
يادار أنت سليلة الأهرام ... بنت الخلد فابقى أنت بعض بقائى
وأبى وأمى يارفاق وإخوتى ... هلا رضوا عن شدتى وبلائى
أتراهم علموا بأنى لم أزل ... كالعهد بى مهما لقيت (فدائى)

اصابة جواد :

وعندما صدرت الأوامر بالانسحاب ، رفض الخضوع رغم جراحه وفى تلك الليلة كتب لوالده الخطاب الثانى والأخير فى حياته وفيه :

(والدى : لقد عشت فى الحياة أكثر من عشرين عاماً لم أشعر بأننى خدمت وطنى ، ولكن روحى قد امتزجت عملا وتفاعلت وإياها نفساً وحساً فكانت تأخذنى فى قوة وعنف ، فآثرت الجهاد على غيره من فروع الحياة وفنون العيش .

والدى : إن كفاحى ليس حرفة بل هو إيمان وطبيعة من طبائع الموهبة، هو شىء بين السماء والأرض .

والدى : إن المجاهد والمحارب فى هذه المرة يمسك بمدفعه ، وهو لا يدرى أتبتعد الدنيا عنه ، أم تقترب منه فقد يكون النصر من الرصاصة الأولى أو الأخيرة وهى تزغرد فى جبهة القتال ، فإما أن تسكت الألسنة أو ينهض على أثرها نضال يشحذ عزيمته ، والمجاهد يمضى بمدفعه يعمل ذات اليمين وذات الشمال لا يعرف خوفاً ولا رهبه . لا يعرف الهزائم بل يجد فيه طعماً مستساغاً ، يبدأ معركة جديدة كأنه والحياة عدوان أو صديقان لا يملان من المعارك ولا يملان من الهمس والمناجاة ، يعيش من أجل الحرية لأن كفاحه آية الحريات .

واعلم يا والدى بأننى إذا أردت أن أنكر الوجود فلا مانع أن ينكرنى الوجود .

واعلم ياوالدى بأن المحارب رجل بلا مبدأ ، شجرة جرداء لها هيكل محطم دون ظل ممدود؛ وحسبى هذا وإلى اللقاء فى ميدان النصر).

وفى يوم الثالث عشر من نوفمبر أصيب أثناء المعركة مع الإسرائيليين والفرنسيين فى صدره وساقه، ولكن لم تعقه إصابته عن مواصلة القتال وتناول من جعبته أربطة طبية لفها حول جراحه، وواصل القتال ، وفى السادس عشر من نوفمبر بلغ إلى علم قائد المخابرات المصرية الحربية ، أن الفدائى (جواد على حسنى) أصيب وهو يقاتل مع الكتيبة الجامعية ، طوابير القوات الفرنسية الإسرائيلية المنتشرة فى سينا

تجاه (العريش) وأن إصابته هذه هي إصابة ثابتة فوق إصابة سابقة لم يشف منها بعد :

مضى (جواد) الروح يسقى الثرى ... من دمه النشوان خمر النضال
يرمى الصبا فى كل فج على ... مذابح العمر ونار القتال
حرد هى القيد بأسطورة ... أعتى فداء من سماء المحال

ولما ساءت حالته ـ أصدر قائد الكتيبة الجامعية إليه الأمر بالانسحاب إلى منطقة (القنطرة الشرقية) ولكن جواد عارض قائده قائلا (إن الإصابة يسيرة لا يمكن أن تقعدنى عن القتال) .

ولكن القائد حينما رأى الإصابة بالغة ، أصدر أمره بنقله إلى القنطرة الشرقية تمهيداً لنقلة إلى المستشفى الحربى فى القنطرة الغربية فقال جواد : (إن ضميرى لا يطيعنى على أن أدخل المستشفى بسبب هذه الجراح اليسيرة ، وإنى أفكر فى الأحزان الكبيرة التى تهدد ملايين الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والأقرباء من أبناء وبنات وأطفال ، من أبناء وطنى إننى أشعر بأن الواجب يقتضينى ويقتضى كل مصرى وكل عربى ألا يتهاون فى الدفاع عن الوطن من أجل جراح يسيره ما أسرع أن تندمل .

إن قيامى بالواجب اليوم وعدم دخولى المستشفى ، يذكرنى بالأيام الأخريات التى سجلت فيه بلادنا نصرها على الدخلاء ، وإننى حين أقوم بواجبى كجندى مصرى يعتز بعروبته ، إنما أحمل لواء الثورة التى ملأت كل جوانحى فكافحت فى سبيل غايتها) :

لا يارفاق مابجسمى حاجة إلى الطبيب .
طبى هنا فى أن أزود العار عن بيتى الحبيب .
لا يارفاق لن أموت جيفة بلا ثمن .
الحشد آلاف ولكنى سأعلم الزمن .

واعلم الطغاة والبغاة والمحن .

أن الحياة أغلى ما تظله الحياة .

وإن من يعدو عليها يدفع الثمن .

اصرار على القتال :

وفى القنطرة الشرقية التقى جواد ببعض الفدائيين الذين يقاتلون فى مؤخرة القوات الفرنسية على الضفة الشرقية للقناة ، وعلم الفدائى الجريح أن القوات الفرنسية المعتدية ، وصلت إلى الكيلو التاسع والثلاثين فى طريق (الكاب) شرقى القناة تجاه القنطرة .

فقال جواد فى نفسه (لا بد من إيقاف هذه القوى الزاحفة بأسرع ما يمكن وبأى ثمن) وراح يستفسر من زملائه الفدائيين عن مواقع العدو الاستراتيجية ، وأماكن توزيع قواتهم الضارية ، وأخذ يدون ماتناهى إلى سمعه .

وعندما جن الليل وأظلمت سماء سيناء ، دب النشاط فى أوصال الفدائى الجريح وكانت جراحاته الخطيرة كفيلة بأن تمنعه من تنفيذ مااعتزم عليه، ولكنه طلب أربطة طبية جديدة؛ وأخذ يزيل بنفسه عن جروحه أربطتها القديمة، وراح يحصى ما مع زملائه من ذخائر واستولى على الجزء الأكبر منها؛ وما كان لأحدهم أمام عزمه وإصراره أن يرفض رغبته، وعندما أوغل الليل حمل مدفعه وكميات ضخمة من الذخائر والقنابل، واتجه نحو مقدمة الطابور الفرنسى الزاحف نحو القنطرة . وعندماحاول زملاؤه منعه هددهم بالمدافع فاضطروا أن يتبعوه ، ولكنه بعد مدة ذاب فى الظلام الذى أخذ يتكاثف ، ولما كانت ذخائرهم لا تكفى للاستمرار فى السير فقد عادوا للبحث عن نجدة من الفدائيين تلحق به ، وأخرجت إدارة المخابرات جماعة من المناضلين الأشداء ليساندوه ويسيروا خلفه ؛ ولكنه كان قد سبقهم إلى هدفه بمسافة كبيرة وعند الكيلو التاسع والثلاثين .

وفى منتصف ليلة الخامس من نوفمبر فوجىء الطابور الفرنسى الزاحف بحمم من النيران تتساقط عليه، وكان عنيفاً جباراً وما كان الفرنسيون يتبينون سوى نيران متدفقة على شكل مروحة ، وساء مركز مقدمة الدورية الفرنسية بدرجة لا تحتمل ، وما كان أمام الطابور الفرنسى سوى أمرين أحلاهما مر : إما الدفاع عن نفسه إزاء سعار هذا الجحيم ، أو أن يلقى بنفسه فى مياه القتال :

خففت فرداً ولكن صاعقاً لجبا كأنك الجيش يغزو وهو جرار
وكنت رعباً لآلاف فواعجبا الفرد فى يأسه والجمع خوار
ظنوا وراءك جيشاً أنت قائده وأنت وحدك فتاك وكرار

وذعر قائد المقدمة الفرنسية واستبد به الهلع فأرسل برقية تقول : إن قوات هائلة تثب علينا من الجنوب والشمال وتكاد تقضى على ما بقى منا .

القتلى سبعة عشر والجرحى لم يعرفوا بعد .. النجدة .. نطلب نجدة سريعة وأسرعت النجدة المنشودة إلى مقدمة الطابور وحينما أصبحت قوات النجدة على بعد ثلثمائة ياردة لم تدر قيادتها ماذا تصنع لإنقاذ مابقى من جنود المقدمة ، وظلت القوات القادمة للنجدة تزحف ببطء شديد حتى أصبحت على بعد مائة وعشرين ياردة من المركز الخلفى للمقدمة ، وهنا لم تستطع التقدم خطوة واحدة لأن النيران المتدفقة كانت تقطع الطريق نهائياً على طول تسعين ياردة من يمين ووسط المقدمة ، واعتقدت قوات النجدة الفرنسية اعتقاداً جازماً أن هناك قوات أخرى تزحف وتضرب بشدة للقيام بعملية عزل كاملة بين مقدمة الطابور ومؤخرته لحصادها وإبادتها، فأخذت هى الأخرى— قوات النجدة تدافع عن نفسها بدلا من أن تتقدم خطوة واحدة لإنقاذ مابقى من المقدمة .

وأبرقت قوات النجدة إلى مركز القيادة تطلب النجدة ، وكانت البرقية

تقول : « قوات ضخمة قضت على مقدمة الطابور، وأصابت ضابطين وجنديين من المؤخرة التى تتقدم للنجدة .

أصبحنا معزولين تماماً عن الخدمة ، والظلام لا يمكننا أن نحدد عدد القوات المهاجمة ، كثافتها كما يبدو لاتقل عن كتيبتين، والقوات المصرية المهاجمة لاتستعمل إلا المدافع الرشاشة عيدة المدى » .

وتلقى (الكولونيل بازان) قائد القوات الفرنسية هذه البرقية العاجلة ، فأبرق بدوره إلى مقر قيادات القوات الإنجليزية الفرنسية المشتركة يقول : (قوات عسكرية مصرية قضت على مجموعات كبيرة من الطابور الفرنسى عند الكيلو التاسع والثلاثين والقوات المصرية المعادية تقوم بحركة التفاف واسعة خارج الطابور ننتظر التعليمات) .

وهنا أحس (الجنرال استكويل) نائب القائد العام للقوات الفرنسية الإنجليزية المعتدية بالخطر الجسيم ، فإنه طالما أن الطابور الفرنسى الزاحف شرق القناة والمتوقف عند الكيلو التاسع والثلاثين معرض للهلاك فبالتالى يتعرض الطابور الإنجليزى الزاحف على الضفة الغربية لنيران القوات المصرية المهاجمة ، إذا ماوصلت القوات المصرية إلى الشاطىء الشرق بعد أن تنتهى من إبادتها للطابور الفرنسى .

وعندما أدرك (الجنرال ستكويل) دقة حرج مركزه أصدر أمره بعقد اجتماع حربى طارىء لوضع الخطة ، وكان الاجتماع وصدرت الأوامر إلى (الكولونيل بازان) الفرنسى بالتحرك بفصيلتين من المصفحات للنجدة .

وانقضت على هذه الأحداث الجسيمة ساعة من الزمان ؛ وعندما لم يطرأ على موقف القوات الفرنسية أى تحسين أبرق (الجنرال ستكويل) نائب قائد القيادة المعتدية إلى مقر القيادة بجزيرة قبرص يستصرخ قائلا (قوات مهاجمة

قضت على معظم الطابور الفرنسى) وهى على وشك تهديد الطابور البريطانى فى غرب القنال .. قائد القوات الفرنسية تحرك بفصيلته للنجدة .. ننتظر التعليمات) . .

وبعد لحظات جاءت برقية بعثها الجنرال (تشارلس كيتلى) من جزيرة قبرص حيث مركز القيادة المشتركة إلى الجنرال ستكويل فى أرض المعركة تقول .. « ننتظر إفادتنا عن مصير تحركات فصيلتين : المصفحات والسيارات التى يقودها الكولونيل بازان » وهكذا تقدم (الكولونيل بازان) على رأس الفصيلتين لإنقاذ ما بقى من مقدمة الطابور الفرنسى الزاحف ولنجدة قوات النجدة :

تجردت يوماً لحرب الطغاة وكان بغيضاً كوجه السدم
سماؤك غارقة فى اللهيب وأرضك واجمة كالظلم
وملء طريقك أشلاء قتلى وأنقاض دور وشلال دم
وثبت إليهم وفى مقلتيك وميض الجريح إذا ما انتقم
تصون بروحك هذا الأديم كأن تقياً يصون الحرم
وكم وثبة لك صوب العدى أصابت مدافعهم بالبكم
غدوت كأسطورة فى الشفاه يذيع عجائبها كل فم

عظمة البطل

وعند ما وصلت الفصيلتان بقيادة الكولونيل بازان إلى أرض المعركة فتحت مصفحاته نيرانها بشدة وعنف، واستعر المكان بالحمم وظلت مدافع المصفحات الفرنسية تهدر وتفور وتقذف باللهب نصف ساعة ، ثم توقف القتال الناشب وانتهت المعركة ، وسكتت البروق والزلازل إلا من أزير تهتز به

المصفحات ودخان يتلوى من فوهات مدافع المصفحات، وتأوهات متقطعة وأجسام ترفع نقالات وزوارق صغيرة تشق مياه القنال .

ومع خيوط الفجر كان (الكولونيل بازان) قد وصل إلى مقدمة الطابور الفرنسي بمصفحاته التي كانت منذ نصف ساعة تلقى بالقذائف والحمم ، وأدار القائد منظاره ذا العدسات الضخمة في كل اتجاه، وراح يسائل نفسه : أين الجيش الذي كان هنا يصلينا بنيرانه ؟ « لم يجد أثراً لشيء » !

وراح الكولونيل الفرنسي يتابع تساؤله في دهشة (عجباً لا بد أن يكون هناك كمين)وقطب جبينه هنيهة، ثم أصدر أمره إلى قواته أن تتخذ وضع الاستعداد، وتقدم الطابور وعلى رأسه الكولونيل بازان إلى أحد الكثبان الرملية الضخمة وفجأة لمح القائد من خلال منظاره المقرب فوهة مدفع رشاش ممددة فوق حاملها الأمامي، وتحتها شاهد القائد الفرنسي شخصاً بملابس الفدائيين، كان الفدائي منكفئاً على المدفع، وما كان الفدائي سوى البطل (جواد علي حسني) :

ورأيت في جسمي رصاص الغدر يخترق العظام
ودمي يفيض ومدفعي الجبار يسخر بالحمام
ما عدت أدري أني سابح فوق الغمام
طيراً يغني لغنوة خضراء في أرض السلام

كان جماعة المناضلين المصريين التي اتجهت خلف (جواد حسني)قد لحقت به بعد أن قارب كل شيء على نهايته فأخذوا يراقبون الأحداث عن بعد، وعلى ضوء الفجر شاهدوا البطل وقد اتخذ لنفسه من أحد الكثبان الرملية المرتفعة وضعاً استراتيجياً ويسدد فوهة مدفعه إلى مواقع الأعداء ، ويمطر مقدمة الطابور الفرنسي المعادي من الوسط جاعلا هدفه يمين وشمال المقدمة، مركزاً نيران الضرب في مساحة نصف دائرة تبلغ خمسة وسبعين متراً شمالا ، وخمسة وسبعين متراً جنوباً على

شكل مروحة ؛ حتى ليخيل للأعداء أن النيران المتدفقة هى لجماعة منتشرة من الجماعات المقاتلة ، وبهذا كانت العملية مفاجئة مذهلة لمقدمة الطابور الفرنسى .

وقبل أن يبزغ فجر اليوم الخامس من نوفمبر كانت آخر قذيفة يلقيها (جواد) على العدو قنبلة واحدة بقيت معه ، ثم انكفأ على مدفعه ومن حوله كومة ضخمة من الطلقات الفارغة، وأغمى عليه . عندما لمح القائد الفرنسى بمنظاره جثة الفدائى؛أصدر أمره لمصفحته بإطلاق غلالة من النيران حول (الفدائى) دون إصابته ، وانطلقت الرصاصات تمزق سكون الصحراء ، ولما لم ترتفع رأس الفدائى أو يختلج جسده فتح القائد الفرنسى برج مصفحته وأسرع بالنزول يتقدمه الجنود بمدافعهم للشرعة،وقال من تقدم منهم إن الفدائى مغمى عليه،ونظر القائد من خلال منظاره إلى الأفق من حوله ؛ ثم تفحص المكان فوجد أكواماً من الطلقات الفارغة حول الجسد المسجى وآثار قدمين فقط على الرمال ولا شىء سوى ذلك :

الفجر بين يدى رفاق رائع ... يحدو ضماناً فى أعز سماء
زحفوا له نحو القناة وخلفوا ... كرماً لى الأعداء فى (سيناء)
وبقيت روحى تسلف المرقى لكم ... ويداى تشوى مهجة التعساء
فى ساعدى قوى الحياة وفى دمى ... من سر (يوليو) قدرتى ومضائى
وتتابعت من مدفعى الطلقات ... تقذف شعبهم بمجندين هواء
حتى كشفت عن الحقيقة زيفهم ... وسترتكم فسلكت كالرحماء
فى مدفعى صمت وفى عينى نعاس ... بعد طول قذائف وعناء
وأفقت والأعداء حولى يارفاق ... تشبثوا بشجاعة شوهاء

وساءل القائد نفسه (هل يمكن أن يكون هذا ؟ مستحيل) وأمر به أن يلقى على مقدمة مصفحته وأن ينقل معه كل مخلفاته من حوله، وأمر العيون أن

تنقب فى المكان جيداً . ولما لم يجدوا شيئاً صدر الأمر بالرجوع . ورجع الطابور الفرنسى يتلوى فوق الطريق ، والكولونيل بازان يستغرقه الذهول ولسانه ما زال يردد (مستحيل أمن أجل هذا الفرد وحده كانت هذه المركة كلها وهذه الخسائر الفادحة أيمكن هذا ؟) وضرب القائد الفرنسى قبضته بكفه وهو شارد أيقضى على ثمانية وعشرين ضابطاً وصف ضابط وجندياً من المقدمة وضابط وصف ضابط وثلاثة جنود من المؤخرة ، وثمانية وثلاثين منهم ثلاثة إصاباتهم خطيرة ؟

وما زال القائد يسائل نفسه .. (أمن الممكن أن يصدر كل هذا من شخص واحد ، البرقيات المتبادلة بيننا وبين القيادة ، وتوقف نظر الكولونيل بازان على الفدائى أمن الممكن أن يكون هذا النحيل الممدد على مقدمة المصفحة هو السبب فى كل هذه المعارك والاضطرابات ؟) رفص القائد الفرنسى أن يصدق والطابور الفرنسى يمضى ، وضوء النهار يعكس صورته على مياه القنال والمصفحات تتعثر على طريق العودة ، والكولونيل بازان يقف على مصفحته يتميز غيظاً ، ويطيل الكولونيل بازان النظر إلى الفدائى الذى كان مبعث سخرية لهم ؛ والآن كان على الكولونيل الفرنسى أن يبرق إلى (الكولونيل استكويل) ولكن ماذا يقول له ؟ هل يقول (إن فدائياً واحداً من المصريين أورثنا كل هذا العناء والخسائر ؟) كلا ! إذاً لتكن البرقية : (لم نعثر إلا على قائد القوات المصرية المهاجمة وقد قدر أحد ضباط القوات المهاجمة بثلاث كتائب كاملة) .

وأخيراً وصول الطابور إلى مقر القيادة المشتركة ؛ وبينما كان الفدائى يعالج بالمنبهات ـ نظر إليه استكويل وهو يقول (لا شك أنه ضابط خطير يبدو أنه كان قائد قوات الهجوم) ، وأبرق استكويل إلى قبرص يقول :

(تمكنت القوات الفرنسية المصفحة من تطهير المنطقة من القوات المصرية المهاجمة . وأسرت القائد وهى بسبيل استجوابه لمعرفة القوات المصرية وخطتها) .

تعذيب البطل :

أمر (الجنرال أندريه) بوضعه فى معتقل الأسرى يلعب كرة القدم (ببور فؤاد) وخصص له مكاناً منفرداً وأمر كولونيل بازان بالحصول على كل المعلومات العسكرية عن الفدائيين وغيرهم التى يعرفها الأسير :

وصحوت من دوامتى ورأيت أنياب الذئاب
أحفاد هولاكو هنا أعماقهم أرض خراب
قد جربوا فى جسمى الدامى أفانين العذاب
بدمى على الجدران سوف أقص ما صنع الذئاب

وبدأ (الكولونيل بازان) فى التحقيق مع الأسير الشاب من صباح السابع عشر من نوفمبر حتى الثانى والعشرين من نوفمبر تحقيقاً متواصلا دون جدوى؛ ولما يئس منه أمر بنقله إلى معتقل آخر، ولم يشفق على جروحه التى كانت لاتزال تنزف صديداً ودماً، وعندما وصل الأسير إلى معتقله الجديد أخذ مجرم الحرب الفرنسى (بازان) يحقق بنفسه مع الأسير ، وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم الثانى والعشرين (أمر بازان) بمائدة وكرسى أمام غرفة الأسير ، وجلس ثم أمر جنوده أن يأتوه بالأسير ووقف (جواد) مقيد الأقدام مكبل اليدين بأسمال ملوثة بالدم والصديد، وبدأ الاستجواب فكان سجلا أسود يطفح حقداً وغلا ووحشية ألا تريد أن تخبرنا من أنت ؟ وما اسمك الحقيقى ورتبتك العسكرية ؟ ونظر الأسير إلى الكولونيل بازان، وقال بلغة فرنسية سليمة لا يجيدها إلا المثقفون من المترفين :

قلت لكم اسمى (جواد على حسنى) وسنى واحد وعشرون عاماً، وعملى طالب بكلية الحقوق جامعة القاهرة، وجئت أقاتل العدو الذى اعتدى على بلادى .

فقال بازان : هذا واضح من الأوراق التى حصلنا عليها ، ولكنها زائفة ومخابراتنا قالت إنك ضابط برتبة اليوزباشى .

فكرر الفدائى البطل كلامه الأول .

ولما يئس منه بازان أمر بأن يحرم عليه الطعام والشراب ثلاثة أيام كاملة وعرى جروحه الغائرة، وأجلسه على كرسى، ولفه بالسلك الكهربى وأخذ يحرق جسده بأعواد الكبريت ، ويشعل أهداب عينيه بالسيجارة ، وينكأ جروحه بالسنكى ، وطلب ماء فأجابوه .

وقيل لجواد — اعترف ونحن نطعمك ونسقيك ونخلى سبيلك .

فقال الفدائى الشاب : ليس لدى ما أقوله . اسقنى أو اقتلنى أيها المجرم .

وعلى الرغم مما قاساه الأسير المصرى فإنه ظل صامداً لا يتزعزع بل قال : (إن مصر التى استنار العالم بهديها قروناً وقروناً لن تتخلى عما عقدت العزم على تنفيذه، وإنى فرد من أفراد هذه الأمة الكريمة؛ فمن العار أن أقول لكم أى شىء ضد أمتى الكريمة ومواطنى الأعزاء) .

قد راح يسقى بغتة المعتدى ... غياهب النقمة شتى الصور
لم يدرك التعذيب فى صدره ... طيفاً لسر فى حشاه عبر
بكل ما يذهل بأس الوغى ... رد عن الأسوار كل الخطر
وسار للخلد بأنشودة ... بكل قلب فى صداها وتر

قصة رائعة

وقد كتب (جواد) قصته الدامية مع الاستعمار وجلاديه بأظفاره وبدمه

تلك القصة التى بدأ كتابتها فى اليـــوم الثانى والعشرين من نوفمبر، وختمها فى يوم الأحد الثانى من ديسمبر .

إن (جواد) روى قصته الوحشية والإجرام على حائط معتقل مدفعية السواحل المصرية (ببور فؤاد) رواها الأسير بدمائه التى نزفتها جروحه ، وفى اليوم الثالث من ديسمبر نقل كولونيل بازان أسيره إلى مكان آخر من المعتقل :

فليرغلوا بالنار فى صدرى وفى ظهرى فليس لهيبهـا بالداء
إنى قطعت له الدروب طويلة وعركت فيه مخاطر الصحراء
لا السجن يعصف بى وحسبى أنه فى أرض مصر الأم فى دنيائى
لا القيد يفتننى ولا جـلادهم يدمى أمانى وحلو غنـــائى
لا الجوع يؤذينى فإن تجلدى يوم الكريهة قنيتى وغذائى
والليل مهما طولوه فهـــذه رؤيا الشروق تدب فى أعضائى

استشهاد البطل

وفى اليوم الخامس من ديسمبر استقر رأى (كولونيل بازان) على التخلص من الأسير الأعزل ، لا رحمة به بل للتخلص من الوثيقة التى تدمغه وقومه بأبشع أنواع الجرائم الدولية التى أرتكبت ضد البشرية ، وضد قوانين الأسر الدولية .

وفى الساعة الحادية عشرة دخل (بازان) على أسيره فى غرفته ، وقال له : يا « جواد » إذهب فأنت مطلق السراح .

فقال الأسير : إننى لا أقوى على المشى ،فأنا جريح وجروحى خطيرة. أنقلنى فى عربة الاسعاف فقال له : لا ـ أنت الآن على أحسن حال ـ لك أن تذهب .

وأشار إلى أحد الحراس فساعده على المشى .. وتمايل الأسير الشاب ، ولم يكد يخطو بضع خطوات خارج غرفته فى العراء . . لم يكد يدير ظهره للقتلة

السفاحين حين أمر (المجرم بازان) باطلاق النار على الأسير من الخلف ؛ فخر البطل الشهيد صريعاً يذكى أرض الوطن بما تبقى فى جسده من دماء :

قالوا اتركوه فما للسجن من أثر والليث حتى مع الأغلال مغوار
غادرت سجنك محموداً ومنتصراً والخطو فى عثرة والجسم منهار
فما أطاقوك بل أرداك منتقما رام جبان من الأعداء غدار

وأمر « بازان» بحمل جثته، وإلقائها فى اتجاه حاجز الأمواج فى (بور فؤاد) ووضع الجنود الفرنسيون الأسير فى ذورق فرنسى ، وفى عرض مياه الساحل توسدت جثة البطل المياه إلى الأبد .

أماه إن طلع الصباح وأشرق الفجر الجديد
فخذى أبى ورفاق معركتى إلى أرض الخلود
فعلى صفاء الموج فى مينائنا الحلو السعيد
روحى هناك تعانق الأمواج كالفجر الوليد

فى عصر ذلك اليوم ، توجه السفاح (يازان) إلى الضابط المصرى رئيس نقطة بور فؤاد ، وقال له : « إن الأسير المصرى جواد حسنى حاول الفرار ، ولحق به الجنود على ساحل البحر فاضطروا إلى إطلاق النار عليه ، ولا يعرف ما إذا كان قد أصيب أو مات غرقا . ! »

وانصرف وهو يظن أن بلاغه قد يستدل الستار على جريمته . ونسى أن هناك شاهد عيان كان يطل على الشهيد رأى كل شىء .

لقد كان (اليوزباشى يوسف وهبى) أحد ضباط المباحث العامة على مقربة من الحوادث الكاملة لهذه الجريمة ، وهو الذى رأى وسمع وشاهد كل شىء

وهكذا ألقت الأمواج بجثة الشهيد ذرات مع الزبد الأبيض ، والرمال النقية ليعود إلى الأرض التى عاش ليستشهد من أجلها هو : (جواد على حسنى) . . . البطل الذى استعذب العذاب، وجاد بروحه فى سبيل وطنه .

والد البطل

ولما علم والد الشهيد الخالد « جواد » بما حدث تلقى الخبر بثبات المؤمن الراسخ العقيدة ، القوى الإيمان الراضى بقضاء الله وقدره ، ولم يزد فى تأثره على أن أستعبر وتلى قوله : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا يؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة يؤته منها وسيجزى الله الشاكرين » .

لقد نال ابنى (جواد) أعظم شهادة فهو مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا .

هذه هى قصة الفدائى العظيم الذى اغتاله الخونة فى كفاحه المجيد أنضر ما يكون شباباً، وأحوج مايكون الوطن العربى إليه فى كفاحه المر إزاء الغاصبين ليكون مع رفاقه فى الجيل الصاعد جبهة ملتحمة سامقة الهامة كثيفة الحصون .

وأنت يا (جواد) لقد ضحيت بنفسك من أجلنا لنعيش فى بلادنا أحراراً فأصبحت من صناع التاريخ، وآباء الوطن، وأصبح اسمك حرفا من حروف الهجاء فى نهضة الأمة ، وإذا كانت بقية حياتك خلوداً مع الرفيق الأعلى ؛ فستخلد انتصاراتنا المتلاحقة هذه النهضة المباركة :

أتذكر كيف طواك الرصاص وكيف تهاوت عليك الحمم ؟
وكيف احترقت بظلم الطغاة وللظلم قلب عتى أصم
وكيف رقدت بزنزانة إذا نام فيها الحصى لم تنم ؟

لقـــد آلمك بشتى الجراح فأغضيت عن برحاء الألم
ترى كل تضحية قد تهون إذا ظل شعبك حر العلم
فيالك من بطل قـد قضى وما زال حيـا برغم العـدم

تكريم البطل :

وفى عهدنا المجيد الذى يكرم البطولات الحقة، ويرفع منارها فى جيلنا وفى الأجيال القابلة — كرم هذا الشهيد البطل (جواد على حسنى زين العابدين) فأقيم له متحف فى (بور فؤاد) يخلد آثاره ، وما سطره من رائع بطولته بدمه الغالى ليحج إليـــه الشباب ؛ يهتدى بهدية ويجعله مثلا من مثله العليا ، وهو يهتف بهذا النشيد :

جـواد حفظت عزتنـــا وكنت ليعرب فخـــــرا
سـكبت الليـــل جـدرانا تعـذبهم بهـــــا حصرا
يضج المدفـع المكـــدود قـــد أجهـدته صـــبراً
وإن تفـــنى كنانتـــه تقول له خـذ الأخـــرى
تذيب جسومهم بالنـــار والأرواح لا تـــبرى
فما يدرون هـــل جنوا ترى أم أسرفوا سكـــرا
أم الطـــوفان فاجأهم يمور بحشـــدهم مـــورا
أم الدنيـــا قـــد انقلبت فمـــا الصحراء بالصحـــرا
وأنت حيا لهـــم فردا تقيـــم البعث والحشـــرا

وكذلك أقيم له نصب تذكارى ضخم فى حرم الجامعة التى مثلهـا فى نضاله المنيع أروع تمثيل .

وأحتفت بأول ذكرى له مدرسته (الإبراهيمية الثانوية) وأقامت له معرضاً يضم آثاره ويخلد أمجاده ،ورفعت له نصبا يمثل مصر الناهضة تحمل إكليل الغار

وترفعه على جبين شهدائنا الأبرار، وعلى وجه منه لوحة تحمل اسم الشهيد، وقد أزيح الستار عن النصب فى الحادى والعشرين من مارس ١٩٥٧ .

أما ذكراه الباقية فهى فى كل قلب ماثلة وستبقى حية إلى الأبد .

يا معيـدا مجدنا الغابر نم مستريحا فى ظلال الأبدية
رحمـة الله على كل فتى عربى راح للعرب ضحية

---

obeikandl.com

الفهرست

	صفحه
١ — كلمات	٣
٢ — مقدمة	٥
(ا) مصعب بن عمير	٦
(ب) عبدالله بن جحش	٨
(ج) خبيب بن عدى	٩
(د) أبو دجانة	١٣
٣ — حمزة بن عبد المطلب.	١٩
٤ — عبد الله بن رواحه	٦١
٥ — أحمد عصمت	٧٥
٦ — جلال الدين دسوقى	١٠٥
٧ — جواد حسنى	١٣٩

obeikandl.com